نصاب الاحتساب

لعمر بن محمد بن عوض السنامي المتوفى في الربع الأول

من القرن الثامن الهجري

تحقيق ودراسة

الدكتور

مرزن سعيد مرزن عسيري

أستاذ مساعد بقسم القضاء والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

١٤٠٥ / ١٤٠٦ هـ

١٩٨٥ / ١٩٨٦ م

مكتبة الطالب الجامعي

مكة المكرمة - العزيزية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

مكتبة الطالب الجامعي
مكة المكرمة - العزيزية
مدخل جامعة أم القرى - ص.ب ٦٧٤٧
هاتف : ٥٥٦٦١٧٠ - ٥٥٧٣٢١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن دعا بدعوته، واهتدى بهديه وسار على سنته ونهجه إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن من أعظم الأمور قدراً وأشملها نفعاً، ما استقام به الدين والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والأولى. ذلك أنه باستقامة الدين تصح العبادة. وبصلاح الدنيا تتم السعادة.

لا شك في أن دراسة ظهور وتطور المؤلفات التي تناولت مؤسسة الحسبة وتنظيماتها ضمن دراسة إدارة الدولة الإسلامية هي من الأمور المهمة سواء كان ذلك في إطار دراسة النظم الإسلامية بعامة أو عند التركيز على دراسة نظام الاحتساب الإسلامي، ومتابعة تطوره على وجه الخصوص.

وكتاب «نصاب الإحتساب» للسُّنامي الذي حققه الأخ الدكتور مريزن عسيري، له أهميته الكبيرة في دراسة نظام الحسبة وتطورها رغم أن الفاصل الزماني بينه وبين أقدم ما ألف من كتب الحسبة يقرب من أربعة قرون. ذلك أن هذا السفر الجليل ـ إضافة إلى أهميته القصوى كمصنف تعليمي للمحتسبين ـ فإنه يعكس وبشكل واسع أوضاع المجتمع الإسلامي في بلاد الهند خلال عصر المؤلف، ويكشف عما تعرض له ذلك المجتمع من أمراض اجتماعية واقتصادية

وفكرية خطيرة، وما يتضمنه من انحرافات علقت بالسواد الأعظم من سكان هذه البلاد في هذا العصر.

إضافة إلى أن الكتاب يعبر عن وجهة نظر مذهبية إقليمية، فكما أن كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي (ت ٢٨٩ هـ /٩٠١م)، وهو أقدم ما وصلنا من كتب الحسبة قد عبر عن وجهة نظر مالكيه، وكما أن «كتاب الاحتساب» للإمام الناطق بالحق الناصر للحق الأطروشي الزيدي «توفي أواخر القرن الثامن الهجري» قد عبر عن وجهة نظر زيدية، فإن كتاب «نصاب الاحتساب» للسنامي قد عبر عن وجهة نظر المذهب الحنفي الذي كان ولا زال شائعاً كمذهب للمسلمين في شبه القارة الهندية حتى الآن.

على أن دراسة متفحصة لمحتويات الكتاب تكشف عدم شيوع المباحث الفقهية فيه، كما هو الحال في كتب الحسبة المذهبية، بل إنه في الحقيقة مشتمل على عدد كبير من المشاكل المحلية الخاصة بشبه القارة الهندية خلال فترة حياة المؤلف كالاحتساب على السحرة والزنادقة وفعل البدع والإصرار على المنكرات والاحتساب على الملاهي وأواني الخمر وبيوت المفسدين وأصحاب الزروع والخانات والحلف بغير الله والتلفظ بكلمات الكفر، وكذلك الاحتساب على الدراهم والدنانير وعلى من يكتب التعويذ ويستكتبه، والاحتساب على الثياب، والطيرة وعلى كلمات الكفر والمعصية، وبدع شعر الرأس وما إلى ذلك، وهي مواضيع لم يتعرض إليها في الغالب من سبقه من كتاب الحسبة.

ولقد سبق لي أن قرأت هذا السفر الجليل منذ ما يربو على ربع قرن حيث كنت أعالج موضوع المؤسسات الإدارية في الدولة الإسلامية، حين استعرضت التراث الإسلامي في الحسبة والاحتساب، وقد أشرت إلى كتب الحسبة التي لم تنشر حينئذٍ، وكان بينها كتاب «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» لابن بسام المحتسب التنيسي، وقد شاء الله أن أقوم بتحقيقه ونشره بعد ذلك ببضع سنوات. وكتاب «نصاب الاحتساب» للقاضي عمر بن محمد السنامي الذي كنت مؤملاً أن تتاح لي فرصة تحقيقه ونشره أو أن أوجه إلى ذلك بعض النابهين من طلابي بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة بغداد.. ولكن من الله علي

بالذهاب إلى مكة المكرمة لأعمل أستاذاً بجامعة أم القرى وقدر الله تعالى أن أتوسم في أحد طلاب الدراسات العليا بالجامعة استعداداً غير عادي لتحقيق ما كنت أصبو إليه. إذ طوف زميلي الأخ الدكتور مريزن عسيري ـ تلميذي سابقاً بين كتب التراث المخطوطة ومن بينها كتب الحسبة. ولست أنكر بأني قد شجعته على التوجه إلى دراسة هذا الكتاب رغم ما كنت أعلم ما يتطلبه التحقيق العلمي الدقيق والنشر من مجهود كبير وصبر ووقت وما تتطلبه دراسته من دقة وأناة وروح علمية وثّابة.

والآن وقد مضى على إنجاز الدراسة وتحقيق النص ونشره بعض الوقت فالشكر لله سبحانه على نعمته وفضله، ثم للأخ الكريم على ما قدمه للمكتبة العربية من إنجاز علمي له أهميته الكبيرة بين المؤلفات التراثية المختصة بدراسة الحسبة الذي يعد بحق خاتمة العقد بين المؤلفات المتخصصة في هذا الإطار.

وإنني إذاً أعلم بأن الأخ المحقق الباحث قد تابع دراسته الجادة فأنتج بحثاً قيماً عن تاريخ الحركة العلمية في العراق خلال العصر السلجوقي، وأنه يتابع دراساته الجادة في النظم الإسلامية وتطورها، وأسأل الله تعالى له كل توفيق وعون، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.

مكة المكرمة
لثلاث بقين من ذي الحجة
١٤٠٥ هـ

الأستاذ الدكتور
حسام الدين السامرائي

كلمة شكر وتقدير

الحمدلله الذي وفقنا ويسر أمرنا والشكر له سبحانه الذي أمدنا بعونه وتوفيقه، ثم لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي على إشرافه وتوجيهه المتواصل، فكان جزاه الله كل الخير والداً ومشرفاً يبذل كل ما في وسعه لإفادة طلبة العلم وتيسير أمورهم أسأل الله عز وجل أن يجزيه عنا خير الجزاء وأن ينفع به طلبة العلم جميعاً.

كما وأقدم شكري وتقديري لكل من مد لي يد المعونة بقليل أو كثير في هذه الرسالة... وجزى الله الجميع خير الجزاء.

د: مريزن عسيري

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله نبينا الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. .

وبعد،

انتشر الإسلام وتطورت حضارته في البلاد التي وصل إليها حسب بيئتها وظروفها وثقافتها فطبقت النظم الإسلامية التي اعتمدت على مبادىء الإسلام الحنيف. ومن بين تلك النظم نظام «الحسبة» ذلك النظام الذي وجد طريقه في التنفيذ منذ البداية وما صاحبه من تطور من أجل ضمان الحقوق ومنع العدوان، فأصبح لهذا النظام أهمية كبيرة في جميع المجتمعات التي أقامها الإسلام، قال تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

من هذا المنطلق فمن النادر أن نجد دولة إسلامية في التاريخ إلا وكان لنظام الحسبة دور بين مجموعة النظم المعمول بها فيها، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾. ونظراً لهذه الأهمية الكبيرة لنظام الحسبة فقد ظهر العديد من المؤلفات بعضها أفرد للحديث عن الحسبة والبعض الآخر ورد مختلطاً ببعض المباحث الفقهية، وكان ذلك مدعاة لمتابعة دراسة الحسبة في العصر الحديث والتعرف على مسار التطور في التأليف عنها.

ولا ريب في أن كتاب (نصاب الاحتساب) للشيخ ضياء الدين عمر بن محمد بن عوض السنامي رحمه الله، وهو ما نقدمه الآن، هو واحد من كتب

الحسبة المهمة، وهو يمثل مرحلة من مراحل تطور الحسبة في المشرق الإسلامي، وتزداد أهمية هذا السفر لعدة عوامل، فمؤلفه محتسب مارس الاحتساب وهو بذلك نتاج خبرة عملية تطبيقية. كما أنه عاش في الهند وهو بذلك يقدم معلومات لم يسبق أن تطرق إليها أحد ممن سبقه من مؤلفي كتب الحسبة ولعل أثر البيئة كان واضحاً.

لقد اطلعت خلال فترة اختيار موضوع البحث على مخطوط (نصاب الاحتساب) للشيخ عمر السنامي، وبعد أن قمت بدراسة أهم كتب الحسبة المحققة مثل كتاب (**معالم القربة في أحكام الحسبة**) لابن الإخوة القرشي، وكتاب (**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**) للشيزري، وكتاب(**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**) لابن بسام تبلورت لدي فكرة تحقيق كتاب (**نصاب الإحتساب**) للسنامي، فقد ظهر لي من خلال ذلك أهمية الكتاب بين كتب الحسبة، ذلك لما انفرد به من الأبواب والموضوعات التي لا وجود لها في غيره من كتب الحسبة الأخرى، وكانت فكرة أسأل الله أن يجعلها مباركة أن أقوم بتحقيق هذا الكتاب الجليل وإظهاره بين مجموعة كتب الحسبة الأخرى، لما يحتويه الكتاب من معلومات جديدة وأحكام كثيرة لها علاقة كبيرة بنظام الحسبة وميدانها، واتضحت أهمية هذا الكتاب بصورة أكبر خاصة بعد مقارنته ومقابلته بغيره من كتب الحسبة الأخرى، وبتوفيق الله عز وجل وبالتشجيع والتوجيه المتواصل من أستاذي الدكتور حسام الدين السامرائي تذللت جميع الصعوبات المتوقعة، واستمرت عملية التحقيق معتمداً على مجموعة من المصادر والمراجع المتخصصة في فنون مختلفة، منها كتب في الحسبة وكتب فقهية وأخرى تراجم للرجال، وكتب سير، ومعاجم، وكتب في الحديث والتفسير.

ويتألف هذا المبحث من قسمين: الدراسة، وتحقيق النص. وقد قسمت الدراسة إلى فصلين: تكلمت في الفصل الأول عن مؤلف كتاب (**نصاب الاحتساب**) عمر بن محمد بن عوض السنامي، حياته ومولده وعصره وثقافته ومصادر معلوماته وآثاره العلمية. ولقد بخلت المصادر وكتب تراجم الرجال في الكتابة عن هذا المؤلف، ولكن بتوفيق الله تعالى استطعت الوصول إلى الكشف

عن شخصيته، وآمل أن أكون قد وفقت في ذلك. وقد أفرد الفصل الثاني لتقديم دراسة علمية عن النسخ المختلفة التي استعملتها في التحقيق والمقابلة، وشمل الفصل بالإضافة إلى ذلك التعريف بكتاب **نصاب الاحتساب**، والنسخ الموجودة منه والمنتشرة في مكتبات العالم، والمنهج المتبع في التحقيق، وقد ختمته بمقارنة بين كتاب **نصاب الاحتساب** وغيره من كتب الحسبة الأخرى.

أما القسم الثاني: فقد أفرد لتحقيق النص.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في تحقيق هذا الكتاب وإعطائه ما يستحق من الأهمية والجهد، كما أسأله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم... والله من وراء القصد.

المحقق

د: مريزن عسيري

مكة المكرمة ١/١/١٤٠٦

البَابُ الأول

الفصل الأول

المؤلف حيَاته وعصره
ثقافته
مصَادر معلوماته
آثاره العلمية

الفصل الأول

المؤلف حياته وعصره

يواجه الباحث الكثير من الصعوبات عند البحث عن تراجم بعض رجال الإسلام الذين عاشوا في المشرق الإسلامي خاصة بعد منتصف القرن السابع. ذلك أن المغول الذين اكتسحوا المشرق الإسلامي بعد إعلانهم الحرب على المسلمين لم يدخلوا مدينة أو قرية في ديار المسلمين إلا وتركوها دماراً وخراباً واستباحوا دماءها وعلمها وعلماءها.

وليس أدل على ذلك ما فعلوه ببغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م فيكفي ما فعلوه بمكتباتها وخاصة مكتبة دار الحكمة ليكون مثلاً واضحاً على ما فعلوه قبل ذلك بالمشرق الإسلامي بعلماء المسلمين وكتب الإسلام.

والشيخ السنامي، مؤلف كتاب «نصاب الاحتساب»، كان أحد علماء المسلمين الذين عاشوا بالمشرق الإسلامي خلال القرن السابع، لذا فإن من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات وافرة عن حياته.

في بداية البحث عن ترجمة المؤلف، لم أكن أعرف هذه المشكلة التي أخذت تشتد وخاصة بعد أن انتهيت من جرد واسع لكتب التراجم المختلفة وكتب الطبقات، وكذلك في عدد من المخطوطات التي أتيحت لي فرصة البحث فيها مثل:

ـ الطبقات السنية في تراجم الحنفية [1]، ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية [2]، ـ وطبقات الحنفية لعلي بن محمد بن سلطان الهروي [3]، ـ طبقات الحنفية لعلي بن إسرافيل قثالى زاده المولى [4].

كما بحثت في مجموعة المصادر والمراجع التالية:

ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد اللكنوي الهندي، ـ كتاب أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري، ـ وكتاب تاج التراجم لابن قطلوبغا، ـ وكتاب هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي، ـ وكتاب الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة للبيضاوي، وغيرها من كتب التراجم.

وبعد كل هذا الجهد وجدت أنه قد ورد في كتاب هدية العارفين ما يشير إلى «أن عمر بن محمد بن عوض السنامي صاحب كتاب نصاب الاحتساب قد عاش في مصر وتولى منصب الحسبة هناك» [5]. غير أني لم أقتنع بهذه المعلومة ليقيني التام من خلال قراءة الكتاب وتحقيقه أن السنامي عاش في جهات خراسان وبلاد الهند ولم يعش في مصر.

هذا بالإضافة إلى أن المحقق كوركيس عواد قد قام بمحاولة غير مجدية للكشف عن شخصية السنامي، غير أنه توصل إلى «أن السنامي ينتسب إلى قرية قرب بخارى» [6].

وكانت النتيجة أن ما ذكره صاحب هدية العارفين عن السنامي توهم

---

(١) عثرت عليه بالقاهرة بدار الكتب الوطنية.

(٢) عثرت عليه بالقاهرة أيضاً بدار الكتب الوطنية.

(٣) عثرت عليه بالعراق بمكتبة الأوقاف العامة، كتبت سنة ١١٦٣هـ / ١٧٤٩م مقاس ٢٥× ١٤ (١/ ٩٢٩ ـ ٩٣٠ مجاميع).
كما عثرت عليه بالقاهرة بدار الكتب الوطنية، كتبت سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م، تاريخ تيمور، الرقم ١٠٤٠.

(٤) عثرت عليه بالقاهرة بدار الكتب الوطنية، كتبت سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م، تاريخ تيمور، رقم ٢٣٥.

(٥) اسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين**، جـ ٢، ص ١٩٥٣.

(٦) **مجلة المجمع العلمي**، العدد السابع عشر، ص ٤٣٣.

محض. كما أن ما ذكره كوركيس عواد فهو محاولة جادة ولكنها لم تؤدِّ إلى الكشف عن شخصية السنامي.

وبتوفيق الله وقع بين يدي كتاب نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة عبد الحي بن فخرالدين الحسيني رحمه الله والذي ذكر في مقدمة الكتاب بأنه جعله ذيلاً على الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. حيث عثرت فيه على ترجمة للشيخ عمر بن محمد السنامي، ومن الغريب أن أجد أن السنامي لم يعش لا في مصر ولا بلاد ما وراء النهر في بخارى أو بالقرب منها. كما ذكر كوركيس عواد أن كل تلك المعلومات التي ذكرها صاحب هدية العارفين وما ذكره كوركيس عواد كان بعيداً كل البعد عن واقع ما حصلت عليه من معلومات في كتاب نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، وكتاب معجم الأمكنة التي لها ذكر في هذا الكتاب للعلامة أبي الحسن الندوي. وخرجت من هذين الكتابين بترجمة، أرجو أن تكون وافية لحياة وعصر شيخنا السنامي رحمه الله، وهو:

عمر بن محمد بن عوض السنامي (بالضم والتشديد)، وكثيراً ما اختلفت أقلام الكتاب في كتابه نسبه «والغريب أن لفظة السنامي قد تلاعبت بها أيدي النسّاخ، فجعلتها تُقرأ بأوجه متغايرة، فهي في بعض النسخ السنامي، وفي بعضها الآخر الشامي أو الشافعي أو الشيامي أو السنائي أو النسامي»[1]. تلاحظه كثيراً في النسخ التي جرى إعتمادها في تحقيق النص.

وقد ولد السنامي ونشأ بأرض الهند حيث ذكر الحسيني رحمه الله في كتابه نزهة الخواطر: «أنه الشيخ الفاضل الكبير العلامة عمر بن محمد بن عوض السنامي الحنفي الإمام ضياء الدين السنامي صاحب نصاب الاحتساب، كانت له قدم راسخة في التقوى والديانة والاحتساب في الأمور الشرعية، ولد ونشأ بأرض الهند»[2].

وهو ينتسب إلى مدينة سنام التي تقع في إقليم البنجاب من بلاد الهند، وقد

---

(١) كوركيس عواد، نصاب الاحتساب، **مجلة المجمع العلمي**، عدد ١٧ ص ٤٣٤.

(٢) الحسيني: **نزهة الخواطر**، جـ ١ ص ٩٧.

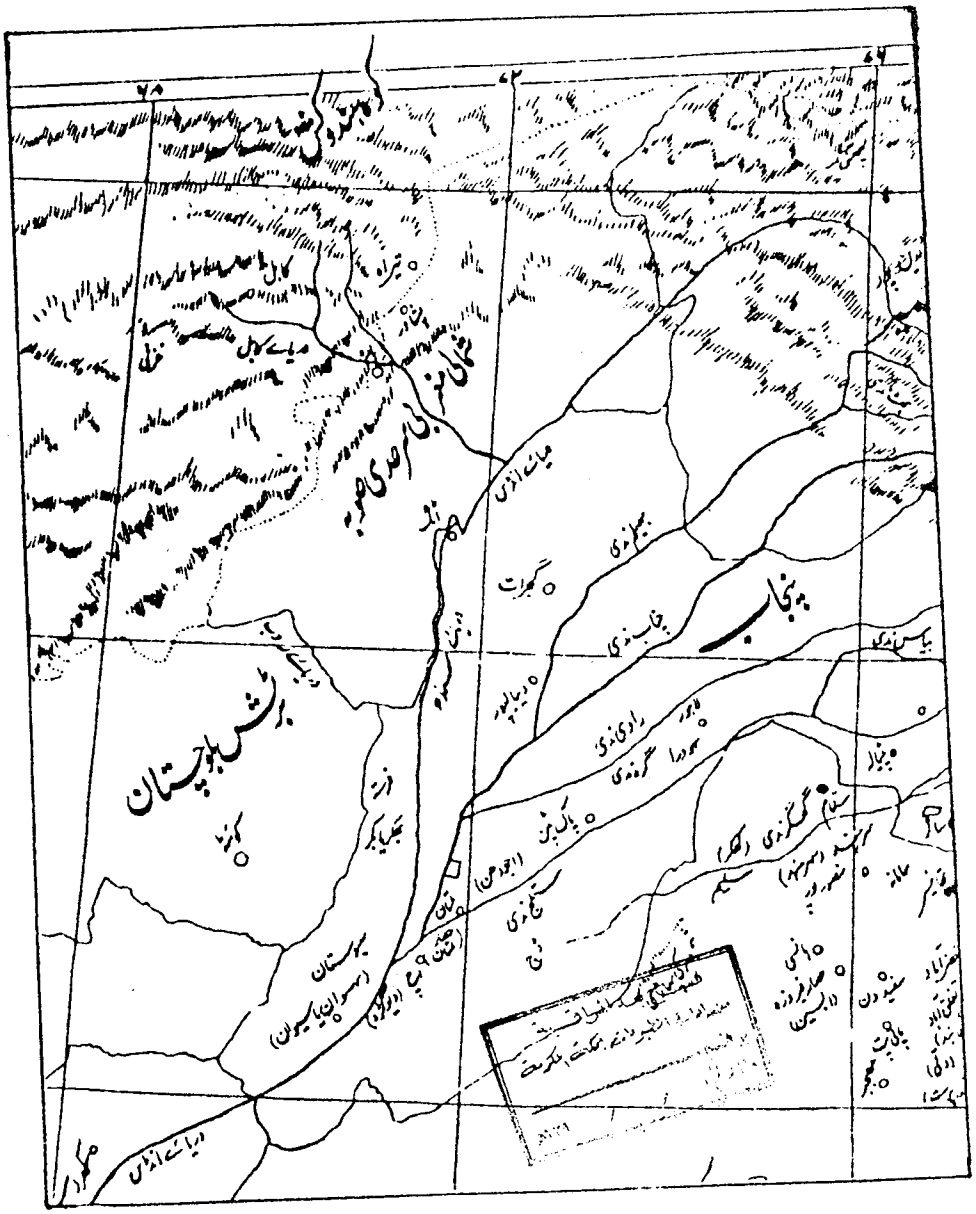

خريطة توضح مدينة سنام التي عاش فيها الشيخ السنامي